الطعام. واصل الامر في لهوك ولذّتك ان تجعل لذلك اوقاتًا معلومةً وتجعل لذلك غايةً فاذا بلغت الغاية او قاربتها فدَعها. واصل الامر في العبادة ان تحمل عليها نفسك في ليلك ونهارك ولا تؤخر شيئًا هممتَ بهِ منها لغدٍ واستغنم الحسَنة الواحدة تعملها والسيئة الواحدة تتجنبها. فهذه الاصول التي تدور عليها الاشياء ومنها تتشعب الفصول فاحمدُ الناس من اخذ بها وعمل بجلّها ولم يمل بهِ الى الهوى والى ما خالفها فان اتباع الهوى مفسدة للدين والعقل ومن رآه بالراي فانّما الفضل لمن كان عقلهُ غالبًا لهواهُ. واحقُّ ما شغل بهِ المرء نفسهُ بعد احراز دينهِ معاشهُ الذي فيهِ صلاح دنياه والقوّة على امر آخرتهِ. ولا ينبغي للعاقل ان يفرّط فيهِ من اجل وجوهه وابعدها من الدناءة والجشَع فان لكل رجل سببًا يطلب فيهِ معاشه ويتأتى لهُ فيهِ امّا رفيعًا واماً دنيًّا واماً بين ذلك ولا يحسن بذي العقل والدين ان يطلب من المعاش الّا قصدًا لافضل مطالب الرزق وتجنُّب ما يقبح منهُ ويكون شيئًا عليهِ

(قلنا) هذا ما عثرنا عليهِ في كتابنا المخطوط من حكم بزرجمهر وقد جمعنا في مجاني الادب اقاويل غيرها كثيرة لهذا الحكيم تجدها في الجزء الاول (العدد ١٢٥) وفي الثاني (ع ١٠١، ١٥٠، ١٥٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١١) وفي الثالث (ع ٦١، ١٥٢) فعليك بها وهي من اجلّ الحكم

الأُسرة النبيلة

او خلاصة اخبار بيت ابيلا

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ في بلادنا السوريّة أُسرًا فاضلة قدمتها من الاقطار الغربيّة منذ زمن مديد فتوطّنتها وانتشرت فيها واكسبتها فضلًا على فضل وصار تاريخها كقسم من تاريخ الوطن لا يجوز ان يبقى مطمورًا في زوايا النسيان

ومن جملة هذه الأُسر الشريفة التي وقفنا على بعض اخبارها آل ابيلا الذين لهم في صيداء ونواحيها الذكر المستفيض احببنا ان ندوّن خلاصة تاريخهم قبل ان تأخذهُ يد الضياع

*

انَّ في جنوبيَّ صقيلية بين افريقية واوربَّة جزيرةً تُعدّ كفاصل طبيعيّ بين العالمين الشرقيّ والغربيّ ألا وهي جزيرة مالطة التي توالت عليها الدول من فينيقيين ويونان ورومان وعرب واسبان وفرنسويين وانكليز لما رأوا في ملكها من الموقع الحريز والحصن المنيع مع سهولة مراقبة سواحل اوربَّة وشماليّ افريقية. ففي هذه الجزيرة اشتهرت اسرة ابيلا التي منها الفرع الذي قدم سواحل الشام

وممَّن افادنا عن اخبار هذه العائلة صاحب تاريخ جزيرة مالطة الكاتب شِيَنْتار (Ciantar) الذي نشر تأليفهُ بالطبع سنة ١٧٨٠ فافرد لذكر بيت ابيلا فصلًا في كتابهِ الرابع لخَّصهُ عن كتَبة أثبات سبقوا عهدهُ. ويستفاد من قولهِ انَّ اصل اسرة ابيلا من بلاد قطالونية من اعمال اسبانية واورد مصداقاً لقولهِ شهادة المؤرخ برزد مستري (Mestre) الذي ذكر في تلك البلاد بيتين عُرفا بهذا الاسم احدهما في پناديس والآخر في أمپوردو

ثم انتقل بعضهم الى مملكة بلنسية واتَّصلوا بخدمة ملوك اراغونية فنالوا عندهم المراتب السنيَّة وصاروا لهم عمَّالًا في صِقِلّية وقد ذكر الكاتبان مونيوس (Mugnos) وزوريتا (Zurita) قوماً بهذا الاسم عُرفوا في قطانية من مدن تلك الجزيرة كَبَنْفر ابيلا وابنهِ جاكومو في تاريخ سنة ١٣٤٢ واشتهر في مدينة سان فيليب دارجير منهم غوليلمو دي ابيلا في تاريخ سنة ١٣٩٢ او ١٣٩٣. وبعد زمن قليل قُلّد هؤلاء الثلثة حكم هذه المدينة بموجب رقيم ملكي تاريخهُ ٥ تموز من سنة ١٣٩٨

وكان سبقهم الى الرتب العالية في مالطة ريمند ابيلا فانَّ هذا انتقل من صِقِلّية الى تلك الجزيرة نحو سنة ١٣٥٠ واظهر في تدبير الامور وسياسة المملكة اقتداراً عظيماً ففُوّضت اليهِ في ٢٣ ايَّار من سنة ١٣٥٩ حكومة مالطة. ولدينا صورة المنشور الذي يخوّل ريمند هذا المقام السامي وهو مكتوب باللاتينيَّة بامضاء لودوك وفرتونيو كاريوزيو بموجب امر ملك اراغونية والملكة امرأتهِ

وقد اشتهر في مالطة بعد ريمند المذكور احد ابنائهِ يدعى برتولوميو. فانَّ هذا الرجل المحنَّك بدربة الامور ادَّى للحكومة الاسبانيَّة خدماً جليلة حملت ملك اراغونية الفونس الخامس المعروف بالشجاع الى ان يجازيَهُ فولَّاهُ مدينة پترا لونغا (Pietra Lunga) سنة ١٤٣٢ ثمَّ منحهُ القاب الشرف في ١٥ اذار ١٤٤٣. وخلفهُ في هذه الالقاب من

بعدهِ اولادهُ وحَفَدَتهُ منهم نيكولو الثاني وفيليب (سنة ١٤٩٨) وپترو نائب السردار (سنة ١٥٠٢) وجوليانو (سنة ١٥١٠) ونيكولو الثاني (١٥٣١) ودياغو (١٥٣٦) وقد تقلّدوا كلّهم المناصب العالية والرُّتب الشريفة كرئاسة الاساطيل وقيادة الجيوش. وكانوا يسكنون اولًا في قلعة الجزيرة ثمَّ انتقلوا الى المدينة المعروفة بالقديمة (Citta vecchia) او مدينة الاشراف (Citta notabile) فنما عددهم وزاد قدرهم واشتهر منهم قومٌ بالادب والشعر والعلوم الرياضيَّة والطبّ

وفي تلك الاثناء عهد كارلوس الخامس الى فرسان رودس امر جزيرة مالطة وجعلها لهم ملكًا مستقلاً بشروط اشترطها عليهم. فاحتلُّوها سنة ١٥٧٠ تحت قيادة ڤيليار الشهير (Villiers de l'Ile-Adam) ولم يلبث الفرسان ان عرفوا ما لأُسرة آل ابيلا من الفضل فكان بينهم وبينها علاقات حسنة وربَّما انتدبوا اعضاءها الى الامور التي تدلُّ على ثقتهم بها واعتبارهم لها. وقد ذكر المؤرخون رقيمين احدهما تاريخهُ ١٠ت٢ سنة ١٥٣٤ والآخر سنة ١٥٧٣ يشهدان على شكر فرسان مالطة وزعمائهم لآل ابيلا على ما ادَّوهُ من الخدم للجزيرة ويثبتان لهم القابهم الشرفيَّة

وفي اواسط القرن السادس عشر هاجر قسمٌ من آل ابيلا من مالطة الى صقلّية وصار لهم فيها نفوذ وتقلّدوا الاعمال العظيمة واقترنوا بالزواج بأُسر شريفة كأُسرة البارون دالْ كامولیو واسرة امراء ألاغونة. وكانوا يسكنون سيراقوسة وتَرْميني مع ما خلّفوا في مالطة من الاملاك الواسعة

وممَّن اشتهروا في اواخر هذا القرن الدون ليونَرْدو دي ابيلا بن فيليبو من سكّان ترميني. فدرس هذا في رومية وتقلّب في الدواوين الكنسيَّة والدرجات الرفيعة. وفي تلك الاثناء كان الكرسيّ الرسولي وجّه الى طائفة الاقباط الاب حنّا اليانو اليسوعيّ ليرشدهم الى الايمان الكاثوليكيّ. ثم بلغهُ انَّ بطرك اليعاقبة داود يطلب الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة. فاختار البابا غريغوريوس الثالث عشر ليونردو دي ابيلا وسامهُ اسقفًا على صيداء شرفًا وارسلهُ الى البطريرك داود والى بطاركة الارمن والكلدان والروم وآزرهُ بثلاثة من الرهبان اليسوعيين احدهم الاب ليونرد سنتانجلو بصفة مستشار ولاهوتيّ والثاني الاب اغناطيوس دي لاكازا وكان يعرف العربيَّة. امَّا الثالث فكان اخًا مساعدًا. وكان سفرهم في آذار من سنة ١٥٨٣ ثم انجروا

يعقوب ابيلا　　أيوب ابيلا　　نخلة ابيلا

حبيب ابيلا　　شبلي ابيلا

من البندقيَّة الى الاسكندريَّة فسوريَّة وطافوا بلادًا كثيرة وتحقَّقوا خُبث اليعاقبة ومكرهم واجتمعوا ببطريرك الموارنة في قنوبين فلقوا عندهُ كلّ اكرام وحفاوة. وقابلوا وكيل بطريرك الكلدان فجحد اضاليلهُ بين يدي سفير البابا وكذلك ساروا الى سيس لمواجهة بطريرك الارمن ثم الى دمشق واورشليم لمفاوضة بطريركيهما الملكيَّين في امر الاتحاد ثمَّ عادوا الى امّ المدائن بعد سنتين. وقد كتب ليونرد دي ابيلا اخبار رحلتهِ باللغة الايطاليَّة وقدَّمها للبابا سكتوس الخامس فنُشرت مرارًا بالطبع ونُقلت الى الافرنسيَّة

وقد تفرَّع من أُسرة ابيلا فُرَعٌ ذكرها المؤرخ شينطار اشتهر بينها البارون بيينيو في سيراقوسة والبارون شزافيرانا وغيرهما لا يسع المقام ذكرهم فردًا فردًا

وكان لاسرة ابيلا شعار (آرمة) اختصَّت بهِ وهو على صورتين الاولى تمثِّل هابيل ساجدًا امام المحرقة التي قدَّمها للربّ اشارةً الى آل ابيلا كأنَّهم اشتقُّوا اسمهم من هابيل. والصورة الأُخرى وهي المتداولة في العائلة المذكورة ترى مثالها في هذه الحجَّة وهي عبارة عن حنيَّة ذات ثلاثة نجوم مذهَّبة في ميدان ازرق يحملها النسر الملكيّ

٢

هذا ما تمكَّنَّا من جمعهِ باختصار عن اصل أُسرة ابيلا واخبارها السابقة. امَّا الفرع المقيم الآن في صيداء فقد اتاها واردًا اليها من مالطة ولذلك عُرفوا ببيت المالطيّ. واوَّل من قدم منهم سواحل الشام كان اسمهُ جاكومو اي يعقوب ورد اليها مع ابنهِ توماس ليتعاطيا التجارة وذلك في القسم الآخر من القرن الثامن عشر. واحتلاَّ في بادئ الامر مدينة عكَّا على عهد الشيخ ظاهر العمر فتولَّيا اعمال التجارة بين عكَّا ومالطة وجهات اوربَّة فنجحت امورهما نجاحًا عظيمًا وبلغا ثروةً طائلة استلفتت اليهما الانظار

ثم صارت ولاية عكَّا الى احمد باشا الجزَّار فاحتاج الى مساعدة جاكومو وولدهِ فطلب منهما مالًا لتيسير امورهِ فساعداهُ واستمالاهُ بذلك واستوطنا عكَّا واتَّخذا فيها الاملاك الواسعة وانشأا فيها العمارات التي لا تزال تُعرف حتى اليوم باسمهما

ولمَّا توفّي جاكومو خلفهُ في اشغالهِ التجاريَّة ابنهُ توماس ولم تطل مدَّتهُ واورث مالهُ ابنهُ الياس. وكان الياس مبتلًى بمرض في عينيهِ لم يمكنهُ ان يزيد على ثروة ابيهِ فعاش من تركتهِ واولد ثلاثة بنين وهم فرنسيس وتوما ويوسف

فرنسيس اعقب ولدهُ الياس الذي سافر الى مصر وخدم في دوائر المرحوم محمَّد

علي باشا وكان ذكيًّا شجاعاً مقداماً فأُسندت اليهِ نظارة معامل غزل القطن فقام بمهنتهِ احسن قيام واخترع لترويج العمل محسّنات كثيرة وكانت وفاتهُ بلا عقب بالهواء الاصفر سنة ١٨٣١

وخلّف توما بن الياس ولدًا اسمهُ حبيب درس العلوم الرياضيَّة ثم سافر الى الهند والصين للتجارة ثم عاد الى وطنهِ ورحل الى بلاد السودان وافاد مالًا كثيرًا وكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٨٦٦ عن ثروة عظيمة

امَّا يوسف بن الياس فانهُ تعلَّم الطبَّ والجراحة وبرع بهما وانتظم في سلك جيش نابوليون الاوَّل لمَّا قدم لمحاصرة عكَّا في اوائل القرن الماضي فبلغ الامر احمد باشا الجزَّار فحنق عليهِ وعلى اخوتهِ وضبط املاكهم فهرب آل ابيلا من وجههِ واستتروا. وكذلك يوسف فانهُ لمَّا رجع نابوليون الى بلادهِ فرَّ هاربًا الى لبنان وتوارى الى وفاة احمد باشا الجزَّار سنة ١٨٠٤ فجاء صور وتأهل هناك بالسيدة وردة ابنة الياس الحمصي ثم تحوَّل الى صيداء وتوطَّنها وزاول فيها التجارة والطبَّ معًا. وبرع في الطبَّ فاحرز لهُ بمعالجاتهِ شهرةً كبيرة

ولمَّا ارادت الدولة الانكليزيَّة ان تختار لها ممثلًا في صيداء ألقت اختيارها على يوسف المذكور لوكالة القنصليَّة فتولَّى اعمالها بنشاطٍ حتى اثنت عليهِ دولتهُ مرارًا وابدت لهُ من المجاملة والالتفات جانبًا عظيمًا. وكان مع ذلك ليّن العريكة سهل الطباع مرتبطًا مع الجميع بوثاق المودَّة لا سيَّما مع اشراف لبنان وبيوتاتهِ كالشهابيين والمعنيين والصعبيين والحرفوشيين وبني علي صفير وبني منكر. وممَّا يُذكر لهُ فيشكر ما قدَّمهُ لاهل لبنان من المساعدات المهمَّة في سنة ١٨٤١ فاستوجب ثناء جميع الاهلين. وكانت وفاتهُ في اواسط تشرين الاوَّل سنة ١٨٤٤ وقد اثنى عليهِ الكولونيل روز قنصل الدولة الانكليزيَّة العام بكتاب تعزية وجَّههُ الى اخوتهِ واولادهِ

وبارك الله نسل يوسف فخلَّف اولادًا كثيرين فضلاء بقي منهم عشرة احياء من بعد وفاتهِ وهم: يعقوب ونيقولا ونخلة وحبيب وجبران ورفول وأيوب وجرجس وشبلي ومريم. وقد تعاطى هؤلاء اعمالًا شتَّى كخدمة الدول في المناصب القنصليَّة واعمال التجارة ومهنة الطبّ واتَّسعت اشغالهم وامتلكوا الاملاك الواسعة في صيداء وبيروت

ولبنان ومما اشتهروا بهِ اتفاقهم العجيب ومحبة بعضهم لبعض حتّى لم يسمعَ قطّ انّـهُ وقع بينهم خلاف

ولمّا كان المقام لا يسمح بذكر تفاصيل اخبارهم نكتفي بالبرض عن العدّ والقليل عن الكثير فنقول:

خلف يعقوب البكر اباهُ في اعمال القنصليّة الانكليزيّة فتولّاها من سنة ١٨٤٤ الى ١٨٧٢ وقد أُثبت في مرتبتهِ هذه بموجب فرمان شاهاني نالهُ من مكارم السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٦٨هـ(١٨٥١) وهو يُلقَّب في الفرمان المذكور باسم «الامير» ويُدعى «قدوة امراء الملّة المسيحيّة». وقد اظهر في هذه المدّة الطويلة اقتداراً عظيماً على التدبير وهمّةً نادرة في خير الاوطان حتى انّ الحضرة السلطانيّة تكرّمت عليهِ بالنشان المجيديّ. ولهُ من المساعي المبرورة لدى المسيحيين اجمالًا واللبنانيـين خصوصاً ما تشهد لهُ عدّة كتابات تاريخها ١٨٤٥ و١٨٦٠ موقعة بامضاء عدد وافر من الكهنة والعالميين. وكذلك اطّلعنا على فصول مطوّلة نشرتها الجرائد الاوربيّة مثنيةً على شهامة قنصل صيداء وتفانيهِ في سبيل المنكوبين. ولدينا رقيم من القاصد الرسوليّ السيد يوسف ڤالركا تاريخهُ ٢٥ تموز ١٨٦٠ يطريُ فيهِ آل ابيلا وعظيم همّتهم. ولم يلبث البطريرك الموما اليهِ ان نال لكلّ من الاخوة من قداسة الحبر الاعظم بيوس التاسع وسام غريغوريوس الكبير (١. ولم تَسهُ الدولة الانكليزيّة عن مكافأتهِ فانّها عرفت لمثلها حسن خدمهِ فانعمت عليهِ بشمعدان من فضّة وزنهُ ٥٢٥٠ غراماً وعلوّهُ ٧٥ سنتيمترًا في اسفلهِ كتابة تشهد على فضلهِ. وفي مدّة قنصليّة يعقوب زار سوريّة البرنس دي غال ادوار ابن الملكة ڤكتوريا وولي عهدها الذي يملك اليوم على بريطانية العظمى فمرّ بصيداء في ٩ ايّار من سنة ١٨٦٢ راكباً يختهُ الملكيّ فاستقبلهُ المرحوم يعقوب ابيلا بما يليق بجلالتهِ من الاكرام فنزل البرنس الى البرّ وتلطّف بزيارة الدار القنصليّة وسُرَّ بما لقي فيها من الحفاوة وشارات الاجلال. وكانت الدار مزيّنة مفروشةً بجلود النمورة والضباع وبقي هناك الى المساء فقفل راجعاً الى يختهِ وارسـل صورتهُ كتذكار زيارتهِ الى المرحوم يعقوب ابيلا وحرّر عليهِ اسمهُ الشريف. وهي صورة

---

١) وقد كتب حضرة الاب روسّو المرسل اليسوعي في صيـداء مقالةً افاض فيها في ذكر آل ابيلا وارسلها الى البطريرك يوسف ڤالرغا فاجابهُ مثنيًا على المذكورين وامرهُ بتبليغهم بركتهُ الرسوليّة

كبيرة تُرى حتى اليوم في الصاعة نفسها التي احتلّها كضيفٍ كريم. واعقب المرحوم يعقوب ابيلا عدّة اولاد افاضل لا يزالون في قيد الحياة ومنهم يوسف الوارد ذكرهُ ووليم وميشل

وقد خلفَ يعقوب في قنصليّة الدولة الانكليزيّة اخوهُ حبيب بمقتضى فرمان شريف من الحضرة السلطانية تاريخهُ سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) ودُعي بهِ اميرًا وكان قبل ذلك تولّى وكالة قنصليّة دولة اسبانية ونال جزاء خدمهِ وسامَ الملكة ايزابلاَّ الكاثوليكيّة مع لقب « دون » الشرفيّ. وكانت الدولة الانكليزيّة واثقة ايضاً بفضلهِ عرفت ما لهُ من الاقدام والنشاط في سنتي ١٨٤٠ و ١٨٦٠. وخدم بصفة ترجمان قنصلَ دولة انكلترة العام في سوريّة الكولونل روز وذهب في خدمة هذه الدولة مرتين الى جهات فلسطين فارسلت اليهِ الحكومة هديّتين ثمينتين وقلّدتهُ نيابة قنصليّة دولتها بعد وفاة اخيهِ فزادت همّتهُ في خدمتها ونال رضاها لكنّهُ تنزّل لابن اخيهِ الدكتور البارع يوسف ابيلا عن وكالة دولة اسبانية

وكان حبيب رجلاً كريم الاخلاق فصيح اللسان ثاقب الفهم محنّكاً في الامور وكان يُتقن عدّة لغات كالافرنسيّة والايطاليّة والانكليزيّة فضلاً عن العربيّة والتركيّة. وكان رحب الجنان ثبت الفؤاد قيل انهُ لمّا زار القدس في سنة ١٨٧٢ بمعيّة إلدرج قنصل الدولة البريطانيّة دُعي كلاهما الى حفلة عرسٍ جرت فيها ألعاب وأُطلقت البنادق فاصابتهُ رصاصة في وجنتهِ واخترقت حلقهُ وخرجت من تحت اذنهِ من الجهة الأخرى فهمّ الناس بان يمسكوا الفاعل فيجازوهُ عن فعلهِ ألّا ان المرحوم اشار اليهم بألّا يفعلوا ثم اخذ قشّةً من الارض وغطّها في دمهِ الجاري وكتب على ورقةٍ انهُ بملء رضاهُ يُسقط حقوقهُ عن الجاني ويصفح عن ذنبهِ ولا يريد ان احدًا يتعرّض لهُ. وممّا امتاز بهِ حبيب ابيلا تمسكهُ بالدين الكاثوليكيّ اضحى بذلك قدوةً لاهل وطنهِ وكان يثابر على الاسرار المقدّسة لاسيّما في آخر حياتهِ. وقد شيّد في قرية جباع محلّ مصيفهِ كنيسةً اوقف عليها بعض الاملاك للقيام بنفقاتها. ومات ميتةً صالحة في سنة ١٨٨٣. وخلّف ١٣ ولدًا منهم خمسة صبيان تولّى كبيرهم المسيو انيبال قنصليّة الدولة الانكليزيّة بعد المرحوم شبلي. ثم جان ورفقي وانج وعزيز الذي انتظم في سلك الرهبانيّة اليسوعية

وقد تعاطى نيقولا ونخلة وجبران الطبّ والتجارة معاً. وامتاز الاوّل بسيرتهِ الحسنة

واستقامتهِ في المعاملات ومات بلا عقب سنة ١٨٦٨. وصرف الثاني قسماً من حياتهِ في بيروت وجدَّ في اعمال الزراعة ولهُ ابنيةٌ جميلة الهندسة انشأها واحسن تدبيرها وولد قيصر وكسرى والياس. امَّا جبران فتولَّى نيابة قنصليَّة دولة البرتغال في صيداء. وكان ايضاً يُعنى باعمال الزراعة والتجارة وادَّى للدولة الانكليزيَّة خدماً معدودة فشكرتهُ عليها بهديَّة فاخرة وابنهُ شكري وارثٌ لاعمالهِ وفضلهِ

وكان أيُوب متخرِّجاً بالآداب الاجنبيَّة متقناً لبعض اللغات ولهُ فصول كتبها في المجلَّات الاوربيَّة عن احوال الشرقيين وعاداتهم. وتعاطى التجارة في بيروت والاسكندريَّة وفي سنة ١٨٦١ قُلِّد نظارة قنصليَّة المانية في صيداء. فخدم هذه الدولة ٣٦ سنةً ونال منها وسام تاج بروسيا الملكي. وولي مرَّتين وكالة قنصليَّة اميركا في بيروت. وتوفي سنة ١٨٩٧ وخلَّف اولاداً منهم هنري ونجيب

ودرس شبلي العلوم الرياضيَّة في الكليَّة الاميركانيَّة واخذ الطبَّ عن الدكتور ڤان ديك وتعاطاهُ في دمشق ثم في صيداء والَّف كتاباً في الحمَّيات رفعهُ الى المدرسة الكليَّة في نيوريك فنال منها شهادة الدكتوريَّة. وكان ايضاً يزاول التجارة والزراعة وولي نيابة القنصليَّة لدولة اميركة. ثمَّ صارت اليهِ قنصليَّة دولة انكلترة بعد وفاة اخيهِ حبيب فادار امورها الى سنة وفاتهِ في ١٧ تموز ١٩٠١ واولادهُ الذكور فريد وجاكي وسميح ووديع وپترو. يخدم منهم الدكتور جاكي والمسيو پترو دولة انكلترة الاوَّل بصفة قنصل في طرابلس والثاني بصفة كنشليار في حيفا

وقد اشتهر في الكتابة والشعر العربيّ المرحومان رفُول وجرجس ابيلا. وكانا كفيفين فلم يمنعهما داؤهما من ان يتفرَّغا للعلوم الرياضيَّة ودرس العربيَّة بفروعها حتى قيل عنهما انهما حكيا المعرّي في ادبهما كما حكياهُ في مصاب فقد بصرهما. وتوفي رفول عن ثلاثة اولاد منهم صبيّان فيليب وانطون. ولهُ قصائد عديدة اخذت اكثرَها يدُ الضياع من ذلك قولهُ يمدح الخواجا جرجس اديب:

يا نسيم الصبح خذ عنّي السلام ... نحو قوم هيَّجوا فيَّ هيام
ذبتُ وجداً في هواهم وجوىً ... ليتَ يحظى باللقاء المستهام
غلبوا في حسنهم ليلى كما ... بتُّ كالمجنون فيهم من غرام
وصبا قلبي فصبَّت ادمعي ... فافضتُ نيل مصرٍ بانسجام
حيث لي فيها امام فاضلٌ ... حاز في رتبتهِ اعلى مقام

وسما في جدّ رأي صائبٍ ساد فيهِ وعلا كل الانامْ
شرّف الآداب اذ فيها سعى وكذا من جوده نال الكرامْ
لو اعاد الشمس ضوءًا رأيُهُ لن يَكُنْ كسفٌ ولم يُلقَ ظلامْ

وهي طويلة لم يسلم منها غير ما ذُكر . ولهُ ايضاً :

يا سُهيل ارعَ ذماي فانا لكَ راعٍ وكلانا لم يَنَمْ
عُجْ على غير قياسٍ ساريًا من جنوب الغرب مع نَسم النَّسَمْ
وخُذ الشرق الشمالي قبلةً واتلُ في بيروتَ آياتِ السَّلَمْ
أخبرِ الاحباب عنّي انني بعد بعدي عنهمُ ذقت الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دوامًا وهيَ لمْ
هدَّ حبلي الشوقُ لكن املي باللقا لطَّفَ من جسمي الضَّرمْ
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلص الآمال فيهِ لم يُضَمْ

وكان رفول يتعاطى كاخوته اعمال التجارة والزراعة . وكان يأتيهِ ادباء الشبّان فيدرسون عليهِ . وممّن اخذ عنهُ عزّتلو نقولا بك توما المحامي الشهير والقانوني البارع . وقد قال يودّع معلّمهُ ويشكرهُ لمّا رحل الى مصر

الفراق

جار الفراقُ على ضعفي وما عدلا والصبرُ ولّى ورغد العيش قد رحلا
والوجدُ قد اوقدَ الاحشاء يسعرها بنارِ ضيمٍ حكَت نارَ الغضا وجلا
والذلُّ قد لذَّ لي وانخطَّ في جسدي سينٌ وقافٌ وميمٌ والهنا بطلا
قالوا ألا ايها الصبُّ القتيلُ نوًى سهلًا كفاكَ عذابٌ في الفؤاد حلا
واكففْ دموعك لا تذرف وكُن رجلًا وارفق بذاتك لا تغفل وكُن بطلا
وارشف لما الرشد واسلُ الهمَّ مهتديًا ولا تكن حائرًا سكران منذهلا
فقلتُ واسفي كيف السلوُّ وقد أوهى الهوى جسدي فألتاعَ وأشتعلا
أيُرتجى الصبر انَّ القلبَ منسلبٌ فكيفَ صبرٌ بلا قلبٍ يُرى وألا
قلبي غنيمةُ مجدي سيدي سندي ربَّ الحجى رفعتي السامي الجلال عُلى
تاجي ملاذي ابتهاجي مَن بهِ افتخرت اوجُ المعاليَ علمًا فطنةً عملا
بدرٌ بهِ يهتدي للحقّ بدرُ هُدًى مولًى بهِ مجمعُ الآداب قد شُملا
هو الاديبُ الاريبُ الفاضلُ الفاطنُ آا سامي الذي قدرهُ بالرفع قد رفلا

العالمُ البارعُ الميمونُ طالعهُ والناظمُ الناثرُ الباهي الذي فَضُلَا
ان قال شعرًا يخرُّ الدهرُ متَّضعًا لهُ وان قال رأيًا يذهلُ العُقَلا
شهمٌ بهجتهِ الايَّامُ قد رَقَصَت والسعدُ فيهِ بدا والعزُّ قد نزلا
يا ايها الحَكَمُ المبدي لنا دُرَرًا ومن سما بصنيع الخير واشتغلَا
انت الذي افتخرت فيهِ الملا أدبًا انت الذي للتقى قد مهَّدَ السُّبُلَا
مني اليكَ سلامٌ فاخرٌ عطِرٌ ارجو اللقاء ولا اخشى لهُ مطَلَا

امَّا جرجس فكان متوقد الذهن حسن الرويَّة جيِّد الذاكرة وقد توفي في السنّ السابعة عشرة قبل ان يجني اثمار علمهِ واجتهادهِ. وشعرهُ رقيق مطبوع عثرنا منهُ على ما يلي. فمن ذلك قولهُ في مدح ابراهيم بك كرامة ابن الشاعر الشهير بطرس كرامة:

هزارُ الانس غنَّى مستهيما على دوح التهاني مستقيما
واضحتْ دارنا وجا ابتهاجٌ عسى يبقى لدينا مستديما
وامسى القلب منا في مناهُ ومن سقمِ الفراق غدا سقيما
وقلت لهُ لقد نلتَ الاماني وموسى الشوق كنتَ بهِ كليما
لاجل كرامة يا قلب طبنا نفوسًا والسرور بنا أُقيما
بابراهيم من بلواي أبرا وأُعذَر من نواه بأن اهيما
فيا من قربهُ اضحى نعيمًا وكان بعاده عنًا جحيما
لقد احييتَ فضل ايك حقًّا بفضلك فقت والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بمجدك المجد القديما
فلا زالت شموسك مشرقاتٍ على الدنيا ولا زلت الكريما
ولا برحتْ عُلاك على كمالٍ ويبقى الحظّ عندك مستقيما

واجاب على كتاب كان المذكور عاتبهُ بهِ فقال:

ألا حبَّذا عتبٌ بدا من معاتبٍ لقد صرت فيهِ كالاسير المكاتبِ
اذا ما اتتني من حبيب رسالةٌ اراهُ جا مثل القريب المخاطبِ
فطرفي جا يجني من الخطّ حظَّهُ وتُتلى فيحظى السمعُ منها بجانبِ
ويحضر في قلبي خواطر لذَّة اذا كان فيهِ ساكنًا شخص صاحبي
وكم ساكن في مهجة وهو ساكت وقد فات من جواه فضل الجاوبِ

ومنها في المدح:

كرامة ابرهم فاقبل قصيدتي ولا فضل لي اني اتيتُ بواجبِ
اديبٌ اريبٌ المعيُّ مهذَّبٌ لهُ الفضل ارثٌ عن ابٍ ذي مناقبِ
ومَن لي بان يرضى باني اختصُّهُ بديوان شعرٍ مُترَع بالعجائبِ

وما ذاك الّا انَّ فيهِ شمائلًا تخصُّ على تخصيصه بالاطايبِ
وان ودادي يا كرامة زائد على ودّك السامي لاعلى المراتبِ
كفاك من العلياء ما انت حائز بهِ فائزًا منها باسنى المطالبِ
فصلي ولو بالخطّ فالخطب هيّنٌ وان كنت تُصْب العين في وصف غائبِ
وما بك يُخْل يا كرامة انما ليكمل حظي من جميع الجوانبِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ الاديب يوسف افندي الاسير:

فيوسف يُدعى بالاسير لانهُ يسير اليهِ العلم في غاية الاسرِ
فهيمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدبٌ قد استوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجب العزَّ الرفيع مع الثنا لكثرةِ ما فيهِ من الشيم الغرِّ
قد استوجب الفخر المنيع مع العلى وحمدًا جميلًا فائق الحد والحصرِ
ألا ايها البحر العرمرم انني لراجيك عفوًا عن قصوري وعن شعري
وان قبول العذر احسنُ خلّةٍ يُزان بها اصل الفتى فاقبلنْ عذري

وقال في مديح السيد عبد الله الجابريّ لما قدم من حلب الى الشام:

رأينا ذوي فضلٍ ومثلك لن نرى فان جميع الصيد في باطن الفرا
لقد اشرقت في الشرق شمسك وانجلى ظلام الدياجي حيث صبحك اسفرا
واذ جئت برَّ الشام اينع روضهُ واثمر فيهِ الفضل والعدل ازهرا
وحلَّت بيروت المسرَّة كلها وفي ثغرها حلَّ ابتسام بلا مرا
اسرتَ العلى حيث المعاني رقيقة تميم ولكن غير وصلك لا ترى
فلا برحت تحظى بهِ حيث انما لها في هواك العذر من سائر الورا
دُعيتَ بعبد الله انَّك سيدٌ وبالجابريّ الالهيّ لتجبرا
واصبح ذو فضلٍ بحبك هائمًا واضحى بك الشاني الظلوم مكدرا
حويتَ التقى والجد والمجد والهدى عن الجد حتَّى طبتَ فرعًا وعنصرا
لكفّك جودٌ لا يُقاس بهِ ندى محال علينا ان نعدَّ ونحصرا
فحاتمٌ الطائي روى عنك جودهُ واحنف عن حلم يزينك قصَّرا
قدامةُ يروي عنكَ كلَّ بلاغةٍ وقسٌّ روى عنك الفصاحة مُخبرا
وانَّك للعلياء اجدر طالبٍ وانت لدى الاقمار في ارفع الذرى
وانَّك بحرٌ لا يُخاض قرارهُ بلا حرج عنهُ يحدّث مَن درى
واخلاقك الحسنى خُلقن من الرضى ورأيك اضحى من ضيا الشمس اظهرا
تتيه القوافي في مديحك عزَّةً ويسمو بكم نظم القريض مصدَّرا
فلا زلت ترقى اكمل السعد كلَّما صباحٌ بدا او صاح طيرٌ وبكَّرا

وقد كاتب الشاعر العصريّ الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي ومدحهُ بقصيدةٍ مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحِ وقصَّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فاجابهُ الشيخ ناصيف عليها بقصيدةٍ من بحرها وروّيها منها قولهُ في مدح جرجس ايلا :

هويتُ الذي اعطى العلومَ فؤادَهُ فأعطَتْهُ منها سائغاً بعد بارحِ
تيمَّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرء لا يخلو اسمُهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعةُ سامعٍ ويا حبَّذا لو نلتُ رؤية لامحِ
به حسدتْ عيناي أذني وربَّما تُخصَّص بالإقبال بعض الجوارحِ

فهذه نبذة وجيزة من اعمال أُسرة ايلا الفاضلة نتمنّى للخلَف من ابنائها ان يسيروا على ادراج اسلافهم لا سيَّما في استمساكهم بعرى الدين فيزيدوا على فضلهم فضلًا ويكونوا لوطنهم فخرًا

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي (تتمَّة)

• دير الفاخوري

بين الرمال التي تمتدُّ في سفح سلسلة الجبال الليبيَّة على بعد ٢٠ كيلومترًا شمالي شرقيّ اسنا ديرٌ قديم لا يسكنهُ ديَّار تدلُّ آثارهُ الباقية على اتّساعهِ وماضي عظمتهِ مع انَّ الكتب العديدة التي نُشرت في القرن المنصرم عن بقايا مصر لم تتعرَّض لذكرهِ . امَّا الاقباط الذين يسكنون وادي النيل من الاقصر الى اسوان فهم يعظِّمونهُ ويحجُّون اليهِ زرافاتٍ يوم عيد الراهب القديس الذي شرَّفهُ بفضائلهِ وكراماتهِ اعني القديس متى الفاخوري . وهم يزعمون انَّ احد ملوك الحبش ابتنى هذا الدير شكرًا لله على شفاء ابنتهِ المدنفة على الموت بشفاعة متى المذكور

ودونك ما ورد عن هذا القديس في السنكسار القبطي الذي نقلهُ الى الالمانيَّة